مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

المرجعيات الثقافية في شعر السيّد حسين بن مساعد الحسينيّ (كان حيّاً: 917هـ أو 918هـ)

م.م.محمّد جاسم محسن الموسويّ
جامعة الزّهراء "عليها السّلام" للبنات/ كلّيّة التربيّة

معلومات الورقة البحثية

الكلمات الرئيسية:

المرجعيات الثقافية، السيّد حسين بن مساعد الحسيني، الشعر الولائي، المرجعية القرآنية، المرجعية الحديثية، المرجعية التاريخية، كربلاء، القرن العاشر الهجري.

المستخلص باللغة العربية:

الملّخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة المرجعيات الثقافية في شعر السيّد حسين بن مساعد الحسينيّ الحائري (كان حيّاً: 917هـ/918هـ)، أحد أعلام كربلاء في القرن العاشر الهجري، الذي جمع بين العلم والأدب والشعر، وعُرف بإنتاجه الشعري الولائي ذي البعد العقائدي. وقد شكّلت الظروف التاريخية والسياسية –ولا سيّما الصراع العثماني– الصفوي– فضاءً خصبًا لنشوء خطاب أدبي عقائدي يسعى إلى تثبيت الهوية المذهبية وحماية الذاكرة الجمعية.

ينطلق البحث من تمهيد يعرّف بسيرة الشاعر ومكانته، ثمّ يتناول مفهوم المرجعية الثقافية وما يثيره من إشكالات دلالية ومصطلحية، قبل الانتقال إلى تطبيقاته الشعرية. وقد قُسّمت المرجعيات في شعره إلى ثلاثة محاور رئيسة:

المرجعيات الدينية: القرآنية والحديثية، حيث وظّف الشاعر نصوصًا قرآنية مثل آية التطهير (الأحزاب: 33) وآيات أخرى مرتبطة بالرسالة وأهل البيت –عليهم السلام–، فضلاً عن استدعائه للأحاديث النبوية، بما يعكس التزامه العقدي.

المرجعيات الأدبية: إذ استند إلى التراث الشعري والنثري العربي، موظفًا آليات التناصّ والتوظيف الفني لتأكيد أصالة خطابه الشعري وربطه بالسياق الثقافي العام.

المرجعيات التاريخية: وأبرزها واقعة الطفّ، التي شكّلت محورًا مركزيًا في شعره، إذ اتخذ منها الشاعر منطلقًا لإحياء قيم الفداء والبطولة وترسيخ الهوية الدينية.

وتخلص الدراسة إلى أنّ المرجعيات الثقافية في شعر ابن مساعد الحائري تمثل نسيجًا متداخلًا يجمع بين النص القرآني والحديثي والتاريخي والأدبي، وهو ما يجعل من شعره نصًّا ثقافيًا مركبًا، يعكس وعيه بوظيفة الشعر في الدفاع عن العقيدة وصون الهوية المذهبية، كما يجسد طبيعة المرحلة التاريخية والاجتماعية التي عاشها.

doi: https://doi.org/10.63797/bjh.

1. المرجعيات الثقافية في شعر السيّد حسين بن مساعد الحسينيّ (كان حيّاً: 917هـ أو 918هـ)

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أفضل خلق الله محمّد وآله الطيبين الطاهرين، وبعد.

لا يخفى على أحدٍ ما لشعر العلماء من سمات ومميزات فنيّة وأخرى علميّة أو تعليميّة والأخيرة لا نقصد به المنظومات فحسب، بل يدخل فيها شعر الولاء والعقيدة، ولا شك بأن هذا الشاعر أو ذاك يبغي أن يوظف أفكاره ومعتقداته ويبثها في طيّات قصيدته المنشأة لهذا الغرض، ومن أجل هذا السبيل قد يحتاج لجملة من المرجعيات الفكريّة والثقافيّة والتي تكتنزها ثقافته، فيأتي ويبثها في نصّه فهو بلا ريب سيوظف في مقطوعاته القصص والأحداث والوقائع، وقدتتنوع هذه المرجعيات ما بين دينيّة أو أدبيّة أو تاريخيّة، وغيرها.
وهذه المركزات العبارات تزين هذه النصوص من أجل ترسيخ فكرته التي أراد، فهو وإن أراد نظم قصيدة في مصاب الحسين –عليه السلام- سيذكر فيها مرجعيّته القرآنيّة والحديثيّة والأدبيّة والتاريخيّة دون قصيديّة فعلية لذلك أو بقصديّة تامّة وواضحة.
إن اختيارنا لشعر السيّد حسين بن مساعد الحسينيّ الحائريّ لم يكن عبثيًا قط؛ بل جاء بوعيٍ تامٍ لما حواه شعر هذا العلم أولًا، ومحاولة تركيزنا على ما وصل إلينا من شعره، فقد ضاعت أغلب قصائده وأشعاره، حتى لنجد أن كثيرًا من الأعلام الذين ترجموا له نعتوه بالشاعر، أمرًا أخر هو من الشعراء العلماء الذين عاشوا في القرن العاشر الهجري متحملين تلك الضغوط السياسية والاقتصاديّة في ذلك الزمن وتلك الحقبة التي مرّت على التشيع بصورة عامّة وعلى المدن المقدّسة في العراق بصورة خاصّة.
ولذلك جاء تقسيمنا لهذه الورقة البحثيّة على مباحث ثلاث وتمهيد، في الأول من هذه المباحث، ذكرنا المرجعيّات الدينيّة والتي تمثّلتْ في القرآنيّة والحديثيّة، وثاني المباحث سلط الضوء على المرجعيّة الأدبية المتمثلة بمرجعيّة الشعر والنثر، وثالث المباحث جاء في المرجعيّة التاريخيّة والتي ركزت على واقعة الإمام الحسين –عليه السلام- والتي أخذت حيزًا من هذه المرجعيّة، أما التمهيد فقد تضمّن ترجمة للسيّد بن مساعد، ومفهوم المرجعيّات الثقافيّة.
وأخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أفضل الخلق محمّد المصطفى والآل –عليهم ألاف التحية والصلوات والسلام-
التمهيد: في سيرة الشاعر ومفهوم المرجعيّة
أولًا: جوانب من حياة صاحب الترجمة وملامح عصره

- اسمه ونسبه

السيّد عزّ الدين حسين بن مساعد بن حسن1 بن مخزوم بن أبي القاسم بن أبي عبد الله الحسين بن محمّد بن عيسى الحسينيّ الحائريّ2.
ذكره السيّد الحرّ العامليّ في أمل الأمل بلفظ الحائريّ بقوله: ((السيّد الحسين بن مساعد الحسينيّ الحائريّ، كان فاضلًا صالحًا، له كتاب تحفة الأبرار في مناقب الأئمّة الأطهار حسن، وغير ذلك)) 3، وكذلك الميرزا الأفنديّ في تعليقة أمل الأمل4، والشيخ الطهرانيّ في الطبقات5.
تنبيه
ذكره الشيخ الطهرانيّ في الطبقات6 بترجمة أخرى باسم: عبد الحسين بن مساعد الحائريّ، وذكر أنّه كتب لنفسه(شرح مختصر العضديّ)، وفرغ منه في الخميس 4رمضان سنة 991هـ، والنسخة موجودة في مكتبة عليّ كاشف الغطاء، -رحمه الله- فلاحظ.

- ولادته

ينحدر من أسرة علويّة قديمة تعرف بآل طوغان الحسينيّين من سلالة عيسى بن زيد الشهيد حفيد الإمام السجّاد-عليه السلام-، وباسمهم سمّيت محلّة آل عيسى في كربلاء، ولم تذكر المصادر سنة ولادته7.

- تلامذته
  - الشيخ إبراهيم الكفعميّ8.

---

1 ذكر السيّد الأمين في الأعيان: الحسين.
2 ينظر: أمل الآمل: 2/ 102، رياض العلماء وحياض الفضلاء: 2/175-176، أعيان الشيعة: 6/ 171-172، طبقات أعلام الشيعة: 7/72-73، تراجم الرجال: 1/ 309، موسوعة طبقات الفقهاء: 10/ 14.
3: أمل الآمل: 2/ 102.
4 ينظر: تعليقة أمل الآمل: 141.
5 ينظر: طبقات أعلام الشيعة: 7/72-73.
6 طبقات أعلام الشيعة: 7/119.
7 ينظر: أمل الآمل: 2/ 102، رياض العلماء وحياض الفضلاء: 2/175-176، أعيان الشيعة: 6/ 171-172، طبقات أعلام الشيعة: 7/72-73، تراجم الرجال: 1/ 309، موسوعة طبقات الفقهاء: 10/ 14.
8 ينظر: بحار الأنوار: 1/18.

- ما قيل في حقّه

أ. قال العلّامة المجلسيّ في البحار: ((هو أستاذ الكفعميّ، وأثنى عليه كثيرًا في كتبه)) 9.

ب. قال فيه الميرزا عبد الله الأفنديّ في تعليقة أمل الأمل: ((كان عالماً فاضلاً، ألّف كتاب(بيدر الفلاح) ولكن لم يذكر اسمه في ذيل الكتاب إلّا أنّ تلميذه الشيخ إبراهيم الكفعميّ، كان عارفاً بشأنه وشأن والده ومطّلعاً على تصانيفهما)) 10.

ت. وذكر أيضًا الميرزا عبد الله الأفنديّ في الرياض: ((أنّه كان من أجلّة العلماء وأكابر الفضلاء، وكان شاعراً ماهراً أيضاً)) 11.

- وفاته

كان حيّاً: 917هـ، وقيل 918هـ12.

- تراثه13

لم نحصل على شيء من تراثه المطبوع، وما حصلنا عليه من تراثه المخطوط، هو الآتي:

أ. بيدر الفلاح: (فقه/عربيّ).

ذكر الشيخ الطهرانيّ أن هذا الكتاب من مآخذ كتاب البلد الأمين للكفعميّ14، ولم نعثر على نسخة منه.

ب. تحفة الأبرار في مناقب الأئمّة الأطهار: (فضائل ومناقب/ عربيّ).

وهو من الكتب الجيدة في فضائل الأئمة الأطهار –صلوات الله وسلامه عليهم-، وقد ذكر الشيخ الطهرانيّ عن هذا الكتاب ما نصّه: ((وكتابه التحفة جيّد استخرجه من كتب أهل السنّة، وذكر أسماءها في آخر الكتاب وهو من مآخذ كتاب البحار)) 15، وذكر في أخر هذا الكتاب فهرس للكتب التي أخذ منها، ولهذا الكتاب نسخ عدة منها:

- (مشهد، رضويّ، بالرقمين: (22177)، والرقم: (25827).
- (فردوس، مدرسة حبيبة، رقم النسخة: 1/ 78).
- (يزد، علومي يزديّ، محمود، بدون رقم).

ت. المناقب: (فضائل ومناقب/ عربيّ).

وهو من كتب فضائل أهل البيت –صلوات الله عليهم- أيضًا، ولم نطلع على نسخ هذا الكتاب، وهو قيد التحقيق في مكتبة العلّامة المجلسيّ.

- منسوخاته

أ. ذكر الشيخ الطهرانيّ أنّه كتب بخطّه عمدة الطالب=العمدة الصغرى، سنة 893هـ16.

ب. كما قام بنسخ كتاب عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لجمال الدين أحمد بن عليّ الحسينيّ (ت: 828 هـ)، وفرغ من كتابته بتاريخ 25 ربيع الأوّل عام 893 هـ، والنسخة موجودة في مكتبة كاشف الغطاء، بالرقم: (725)، وهي بخطّ نسخ جيد كثيرة الحواشي، وعليها كلمات نسخ البدل والمقابلة، عليها ختم دائري كبير كتب عليه بيتين من الشعر للإمام عليّ بن أبي طالب –عليه السلام-

رضيت بما قسم الله لي* وافوض أمري إلى خالقي
لقد أحسن الله فيما مضى* كذلك يحسن فيما بقي –

ابن مساعد الحسينيّ عبده حسين-).

---

9 بحار الأنوار: 18/1.

10تعليقة أمل الآمل: 141

11 رياض العلماء وحياض الفضلاء: 175/2-176.

12 ينظر: حاشية عمدة الطالب (مخطوط): 35، أمل الآمل: 2/ 102، رياض العلماء وحياض الفضلاء: 175/2-176، أعيان الشيعة: 6/ 171-172، طبقات أعلام الشيعة: 72/7-73، تراجم الرجال: 1/ 309، موسوعة طبقات الفقهاء: 10/ 14، فنخا(نماية مؤلّفان): 629/1.

13 ينظر: طبقات أعلام الشـــيعة: 72/7-73، الذريعة: 3/ 74-75، 221، 244/15، تراجم الرجال: 1/ 309، موسوعة طبقات الفقهاء: 14/10، فنخا (نماية مؤلّفان): 629/1.

14 ينظر: الذريعة: 150/6.

15 الذريعة: 3/ 74-75.

16 ينظر: طبقات أعلام الشيعة: 72/7-73.

له بلاغات وتصحيحات على نسخة الدروس الشرعيّة بخطّ الشيخ الكفعميّ في ص181 من النسخة، بتاريخ 27 ربيع الأوّل سنة 910هـ، ومصورتها موجودة في مكتبة آية الله السيّد المرعشيّ، بالرقم: (ش14360) 17.

- شعره.

عند العثور على شخصية حسين بن مساعد الحسينيّ الحائريّ في كتب التراجم، قرأت أنه شاعر، وله شعر جيد كثير، هممت بجمع شعره وتوثيقه، فبدأت التنقيب فلم أجد من شعره إلّا ما ذكره صاحب الأعيان، بمقدار قصيدتين، على قافية الراء، ثم ذهبت من هنا وهناك باحثًا عن سبيل أخر للعثور على باقي شعره فوجدت أنهم كرروا ما جاء به صاحب الأعيان، ككتاب الأدباء من آل أبي طالب، للسيّد مهدي الرجائيّ18، منية الراغبين، لابن جمهور19، الطليعة من شعراء الشيعة، للسماويّ20، أدب الطف، لجواد شبر21، ثم كررت فلم أجد شيء من شعره، وقد كرر تلميذه الشيخ الكفعميّ (ت 905هـ) ذكره كثيرًا في كتابه الموسوم بـ(نور حدقة البديع ونور حديقة الربيع)، وكتابه الكفعميّ المفقود (فرج الكرب وفرح القلب)، وهو مملوء بالمراسلات في النظم والنثر بين السيّد بن مساعد والكفعميّ22.

1. ملامح من عصر الشاعر

إنّ المُتتبع للحياة العامّة في كربلاء إبّان النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، وطوال القرن العاشر يجد أنها قد توافرت على كثيرٍ من أسباب الأمن والطمأنينة ممّا جعلها مزدحمة ومكتضّة بالزائرين والوافدين، وكانت أسواقها عامرة، وتجارتها رائجة وحركة التنقّل والسفر إليها نشطةٍ، فكثرت فيها القبائل العلويّة وغير العلويّة التي أخذت تميل إلى حياة الحضارة والمدنية فيها رويدًا رويدًا، كما انجذب لها كبار رجال الحديث والسيرة من علماء الإماميّة الّذين بادروا بإقامة حلقات التدريس للمسائل والموضوعات الدينيّة والفقهيّة لسكّانها المقيمين والزائرين، فاتسعت وتطوّرت الحركة العلميّة فيها، حتّى صار طلّاب العلم والمعرفة يقصدونها، ويشدّون الرحال إليها من مختلف البلدان والأمصار للاغتراف من معين علمها وفضيلتها23.

ولموقعها الدينيّ والعلميّ المتميّز أقام فيها كثير من العلماء، وتردد عليها أساتذة معروفون بزيارتها في أوقات مختلفة، فصارت المدينة موضع اهتمام سلاطينها، فأرسوا دعائم العلم والأدب فيها، كما كان لهم الفضل في تشييد هذه المدينة وتوسيع عمارتها، ولاسيّما أبنية مرقدَي الإمام الحسين وأخيه أبي الفضل العبّاس-عليهما السلام- والمساجد المحيطة بهما، وهذا ما شجّع الحركة العلميّة في المدينة24.

ومن خلال ما تقدّمت الإشارة إليه، فهذه الأهمّيّة الكبيرة لمدينة السبط الشهيد –عليه السلام- لم تخلُ من أعلام على مدى القرون وصولًا إلى القرن التاسع والعاشر الّذي هو محطّ بحثنا، فقد تردّد عليها مفيدًا، ومستفيدًا، وزائرًا، وكاتبًا، ومؤلّفًا، في الحضـرة الشـريفة جمعٌ كبير من أعلام الإماميّة على مدى القرون، وهذا ما يلاحظ عن طريق مخطوطات هؤلاء الأعلام، ولِمنْ طالع وثائق وفهارس المخطوطات بمختلف القرون، و لا يخفى على المتتبّع أنّ في هذه القرون تبنّى العثمانيّون الدعوة إلى مذهب السنّة، بينما تولّى الصفويّون الدعوة إلى التشيّع، وبهذا تمكّنوا من حكم شعوب المنطقة على أساس السياسة المذهبيّة، وبالنتيجة سادت الخلافة العثمانيّة العالم الإسلاميّ ما عدا إيران التي كان يحكمها الصفويّون، واليمن التي حكمها الزيديّة، وعقب الاحتلال العثمانيّ لبغداد عام 941 هـ، الذي أثّر تأثيرًا مباشرًا على الهجرات الشيعيّة من البلاد العربيّة وتركيّا إلى إيران25.

إنّ هذه الحوادث والتطوّرات السياسيّة، وغيرها أدّت هجرة كثيرٍ من الأعلام في هذا القرن من الحواضر الشيعيّة، ككربلاء والنجف والحلّة وسامراء، ممّا أدّى إلى انحسار الحركة الفكريّة فيها.

وإذا عرفنا أنّ الحواضر الشيعيّة الحاكمة آنذاك في مجمل البلدان الإسلاميّة في هذا القرن توزّعت كالآتي:

الإمارة الشيعيّة في مركز أفغانستان، والدولة الصفويّة في إيران، ودولة الشرفاء في المغرب، ودولة القطب شاهيّة في الهند، ودولة جك الشيعيّة في كشمير، ودولة نظام شاه الشيعيّة26، هذا من حيث الجانب السياسيّ، أمّا الجانب

---

17 ينظر: فنخا(نماية مؤلّفان): 629/1، نسخة مكتبة كاشف الغطاء(مخطوط)، بالرقم: 725.
18 ينظر: الأدباء من آل أبي طالب: 240/1 وما بعدها.
19 ينظر: منية الراغبين: 427-430.
20 ينظر: الطليعة من شعراء الشيعة: 281/1-283.
21 ينظر: أدب الطف: 21/5.
22 ينظر: الذريعة: 150/6.
23 ينظر: تاريخ الحركة العلميّة في كربلاء: 27-28.
24 ينظر: الهداية: 136، أعيان الشيعة: 461/2.

25 ينظر: فهرس التراث: 441.
26 ينظر: فهرس التراث: 441-442.

العلميّ والفكريّ، فإنّ هناك حركات كثيرة وكبيرة جدًّا لها مؤسّسيها وأعلامها، كحوزة النجف وكربلاء والحلّة السيفيّة وجبل عامل، وغيرها، فقد برزت الحوزة العلميّة في جبل عامل بلبنان بعد مرجعيّة الشهيد الأوّل، الشيخ محمّد بن مكي العامليّ (ت: 786هـ)، ومرجعيّة الشهيد الثاني، زين الدين بن عليّ الجبعيّ(ت: 965هـ)، وظهور مرجعيّة الشيخ أحمد بن محمّد المقدّس الأردبيليّ(ت: 993هـ) في النجف الأشرف في القرن العاشر للهجرة، وخلال قرنين تقريبًا؛ بقي مركز المرجعيّة يتنقّل بين النجف وكربلاء، وكان لهؤلاء الأعلام دور كبير في تفعيل الحركة العلميّة؛ إذ أفرزت من الآثار والمؤلّفات العلميّة والفقهيّة والفكريّة والفلسفيّة والسياسيّة والاجتماعيّة عددًا كبيرًا، كما سكن هؤلاء الأفاضل المدن المقدّسة، مثل كربلاء والنجف والكاظميّة؛ لما لها من القدسيّة والشرف؛ كونها تشكل أهمّيّة كبرى لدى المسلمين عامّة والشيعة خاصّة؛ إذ يتوافد إليها الزائرون من كلّ حدب وصوب.

وفي كربلاء، برز علماء أجلّاء كبار، منهم الشيخ إبراهيم بن عليّ الكفعميّ، والسيّد حسين بن مساعد الحائريّ، والذي قَطَنَ في كربلاء ولم يغادرها إلّا قليلًا، والسيّد وليّ بن نعمة الله الحسينيّ الحائريّ، والشيخ عليّ بن هلال الجزائريّ والسيّد محمّد بن أبي طالب الحسينيّ الحائريّ، وغيرهم.

ثانيًا: المرجعيّة الثقافية بين المفهوم والمصطلح

لعلّ الكثير من المصطلحات لا تستقر أول أمرها وذلك بسبب جدة المفهوم، أو تطوره أو فهمه، فاللبس الحاصل في هذا المصطلح ونعني به (المرجعية الثقافية)، منشأه راجع لما لقيه من تعدد وتضارب في الآراء التي سعت إلى تقديم طرح خاص به، وبالنظر لما طالعناه فأن من كتب في المرجعيّة الثقافية قد قدموا تنظيرات والقليل من التطبيقات المرتبكة لهذا الممصطلح، ولو عدنا لمفهوم المرجع فمن خلال المقاربات اللغوية في المعاجم العربية والغربية، وكذا البحث في ذاكرة هذا المصطلح.

إنّ البحث في المعنى المعجمي والاصطلاحي لمفهوم المرجع، يكشف لنا صعوبة وحركة هذا المصطلح، ومشقة الوصول إلى معنى واحد متفق عليه من طرف الباحثين، الدارسين والنقاد، ومرجع هذا؛ كونه من المصطلحات التي لاقت رواجاً في العصر الحديث، وشهدت حضوراً في مجالات عدة من الحياة، مما وضعه في لبس التفريق بينه وبين مصطلح المرجعيّة من ناحية المفهوم والمعاني، وعليه ستطرح دلالته في المعاجم العربية والمعاجم الغربية.

- في المعاجم العربية:

إنّ التقديم الّذي قدمه ابن منظور في تحديد دلالة المرجع، إذ ورد في لسان العرب أنه: اسم مشتق من الفعل رَجَعَ، يَرْجِعُ، رَجْعً ا، ورُجوعاً، ورجْعَانا، ومَرْجِعًا، ومرجعة(27)، ضد الصرف، وفي التنزيل ﴿ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾(28)،أي الرجوع، والمرجع مصدر على وزن فُعْلى، وفيه ﴿إلى الله مرجعكم جميعًا﴾(29) أي رجوعكم(30)، وجاء المرجع أنه: ((محل الرجوع، والأصل، وأسفل الكتاب، ما يرجع إليه في علم أو أدب عالم أو كتاب))(31).

نلحظ في كلا التعريفين، جاء المرجع يحمل معنى الرجوع إلى الأصل في الاستناد إلى شيء ما.

- نحو المعاجم الغربيّة:

وردت التعريفات التي ترجمها (عبد الرحمن التمارة) عن المعاجم الغربية حول مصطلح المرجع، مفاهيم مقابلة لما ورد في المعاجم العربية.

في معجم (Le Robett) يصاحب المصطلح دلالات نذكر منها: فعل وأداة للإجابة وللتحديد، بالنظر إلى شيء ما وشهادة أشخاص، يمكن أن نعود إليهم، لجمع معلومات حول شخص ما(32).

وورد في معجم آخر أنه: المكان الخارجي الّذي يمكن أن يُحال عليه شيء ما(33).

كلا التعريفين يحيلنا إلى معنى الرجوع إلى أرضية واقعية، موجودة وموصل لها في الحياة، سواء أكانت معلومات، أو إطار خارجي له وجوده الفعلي واقعيا

مزاوجة في الاصطلاح

---

27 ينظر: لسان العرب: 107 (مادة: رجع).

28 العلق: الآية: 8.

29 المائدة: الآية: 48، الآية: 105.

30 ينظر: المعجم الوسيط: 331 (مادة: رجع).

31 المعجم الوسيط: 331 (مادة: رجع).

32 ينظر نقلًا عن: مرجعيات بناء النصّ الروائي: 30.

33 ينظر: انفتاح النصّ الروائي: 24-25.

يعود مصطلح المرجع في أصله إلى اللغة الإنجليزية (Referent) لينتقل بعدها إلى اللغة الفرنسية في العشرينات من القرن التاسع عشر.

ورد هذا المصطلح عند كلّ من (روبير لافون (Rober.Lavon)، وفرانسوا مادري (Francoise Madri)، أنه يتكون من ((محددين أساسين، الأوّل نصي ذو طبيعة لسانية، وهو الّذي يرتبط (باعتبار السياق)، بالتناص كنسيج لعلاقات عملية الكتابة والقراءة، أما الثاني مقامي، له طبيعة خارج لسانية ... يبدو في العلاقات القائمة بين الإنسان والواقع، من خلال اللّغة))(34).

كما اعتبر المرجع موضوعا من مواضيع العالم الحقيقي، التي تشير إليها كلمات اللّغة الحية، تبدو كلمة موضوع غير كافية؛ ذلك أن المرجع يغطي الأوصاف والأفعال والأحداث الحقيقية، محصوراً ؛ لأن المرجع يشتمل على العالم الخيالي(35).

- بين المرجعية والمرجع

نجد هنا أنفسنا أمام إشكالية انتخاب مفهوم محدد لكلا المصطلحين؛ نظراً لتعدد بحكم تباين صيغتهما الاشتقاقيتين من الجذر ((التصورات النظرية التي قُدِّمت لكل منهما و اللغوي ر.ج.ع))(36).

فمن الناحية المعجمية لهما نفس المفهوم، هذا ما ذهب إليه العديد من الدارسين للتمييز بينهما مفهوما، حيث يغتدي كل منهما « والمنظرين الذين لم يُعيروا اهتماماً كبيراً.

و((للتمييز بينهما مفهوما، حيث يغتدي كل منهما «مفهوماً قائما بذاته، من أجل ذلك نجد بعض المنظرين يستغني عن المرجعية، ويجزئ بالمرجع، غير أنّ عامة المنظرين السيميائيين يجنحون بالمصطلحين الاثنين، إلا أنّ كلّ منهما يمثل مفهوماً قائماً بنفسه))(37).

يرى بول ريكور (paul Ricueur) إن مرجعية النصّ ترتبط بالقارئ إذ أن ((النصّ لا يحيل على شيء سوى ذاته، ولا حقيقة له خارج الإطار العلامي الّذي ينتظمه ويشكل مرجعيته))(38).

"فريكور" هنا يربط مرجعيّة النصّ بالقارئ الّذي له دور فك شفرات النص الأدبي، منب اعتبار هذا الأخير شحنة دلالية والقارئ من يحدد دلالته التي تشكلت ((رواسب تراثية قابلة للاستعارة في كل زمان ومكان... إنّه يظل إنتاجا وليد حقب متواصلة ومتعاقبة من التطوّر، وهو في صيرورته هاته يعكس سياقات خاصة، تفاعل معها الإنسان بأشكال متفاوتة ومتعددة، ويفترض هذا أن يتعامل معه في ضوء تلك الصيرورات، وما تمثله من امتداد وانقطاع؛ أي تنظر إليه باعتباره كلًا متكاملاً))(39) يُسهم في تعاضد المرجعيّات في النصوص الأدبية وحضورها.

فالمرجعية إذن ((تعتمد على قبول المرجع والإيمان بشرعيته، وإن كان هذا القبول يفترض توسيع سعته وتمديدها، فإذا كانت سمة الواقعية والتجريبية لصيقة بالمرجع، فإن المرجعيّة تظل مجالاً أقرب إلى الجمع والتوفيق بين العالم التجريبي والواقعي، والعالم التجريبي المتخيل))(40).

لتصبح المرجعية استناداً إلى هذا تمثل ((العلاقة بين العلامة اللّسانية والمرجع أو الشيء الخارجي))(41).

والمقصود به هنا العالم التجريبي ببعديه الواقعي والمتخيل، انطلاقا من النص الخارجي كعلامة لسانية، والقارئ كمرجع خارجي تُرجع إليه هذه العلامة اللّسانية.

من خلال هذا نخلص إلى أنّ ((المرجعية هي العالم الذي يحيل إليه ملفوظ لغوي، علامة منفردة كانت أم تعبيرا مركباً، ويكون ذلك العالم إمّا واقعيا موجوداً حاضرا، وإمّا متخيلاً لا يطابق أي واقع خارج التعبيراللّغوي، وهذا يستلزم بالضرورة من يدرك ذلك العالم أو يتمثله، ثم ينتج الدلالات التي يمكن أن يُعبر عنها العالم المرجعي المعروض في التعبير))(42).

فالنصّ الأدبي ((يعتبر نسيجاً مركباً من مفهوم المرجع بخلفيته المعجمية واللّسانية منطلقاً أولياً لمقاربة المرجعيّة في تجليها النصي الشاسع والمركب باعتبار الجزء مقضيًا لكشف الكلّ، وذلك بالتأكيد على أن كل نصّ يبني مرجعيته النصيّة الخاصة))(43).

---

34 ينظر: مرجعيات بناء النصّ الروائي: 30، نقلًا عن معجم(Rober.Lavon).
35 ينظر: النصّ الروائي: 24-25.
36 ينظر: قاموس مصطلحات التحليل السيميائيّ للنصوص: 152-153.
37 ينظر: نظرية النصّ الأدبي: 55.
38 ينظر: مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث(بحث في المرجعيات): 55.
39 ينظر: المتخيل الروائي(سلطة المرجع وانفتاح الرؤيا): 171.
40 ينظر: مرجعيات النصّ الروائي: 52.
41 ينظر: المتخيل الروائي(سلطة المرجع وانفتاح الرؤيا): 171.
42 ينظر: مرجعيات النصّ الروائي: 52.
43 المصدر نفسه: 53.

فالاحتكام إذن للمفهومين المعجمي والاصطلاحي يكشف تلك الدلالات ذات الأهمية في استكشاف الجذور المعرفيّة التي كونت النصّ، مما يسمح ((برصد خصوصيات المرجع وضبط مساره المعرفي الممتد والشاسع؛ لكونه مفهوما مؤسساً لخطابات معرفية متنوعة))(44).

فهو عصر مهم يضبط السياقات التواصلية التفاعليّة العامة؛ لأنه يشير إلى سياقات خارجية وداخلية، ساعدت في تأطير مفهوم وماهية هذا النصّ الأدبي وخطابه المعرفي.

سنقف عند مفهوم هذا المنهج، وكيف أن له دورا بارزا في تحديد آليات ومبادئ المرجعيات الثقافية التي تبنى عليها النصوص الأدبية في كثير من الأحيان، هذا إذا نظرنا للنص على أنه بنية ثقافية تكتنز العديد من الأنساق التي من شأنها أن تكشف لنا عن تفكير أمة وعاداتها وتقاليدها وأيديولوجيتها في مختلف المجالات، خصوصا وأن أغلب الدراساتُ مع على أن النص عبارة عن مجموعة من الشحنات الدلالية التي ينبغي فك شفراتها.

- المرجع لغة واصطلاحًا:

ذاكرة المصطلح مفهوم الثقافة

إنّ الوصول إلى مصطلح محدد للثقافة ليس بالأمر الهيّن ؛ نظراً لاختلاف وجهات النظر المطروحة فيها، كما يرجع ذلك إلى التباين في الحضارات، وبالتالي تباين الثراء المعرفي، واختلاف التجارب، وعليه قبل الخوض في غماره، والبحث في مكنوناته، نتطرق إلى المفهوم اللّغوي، ومن ثمّ الاصطلاحي.

المرجعيات الثقافية

لاشك أن التمهيد بالإطلالة على مصطلح المرجعيّات الثقافية، ومفهومها هدفه الوقوف على دلالته، والموضوعات التي تندرج تحته، وإزالة اللبس عنها، نظرا لتعدد الرؤى وتضارب المنظرين في تحديد مساراتها، بغية الوصول إلى رؤية محددة تسير بالبحث، وتأخذ بيده في طريقه الصحيح.

ففي السياق الموروث، لاسيما في بعده الديني والمعجمي لا نجد حضورا لمفردتي المرجعية والمرجعيات، إذ أنهما مفردتان حديثتان، فلم يرد لهما ذكر في كتاب الله تعالى، لكن الفعل رجع ومشتقاته تكرر في القرآن الكريم مئة وأربع مرات(45).

وكانتُ جلُّ معانيه الواردة تشير إلى العودة إلى الأصل والمآل، أما من ناحية البعد المعجمي فإن المعجمات القديمة لم تتداوله، فلم ترد فيها مفردة المرجعية، وال صيغة الجمع منها، لكنها خاضت في جذر الكلمة ومشتقاتها، فصاحب العين ذكر أن (المآب: المرْجِع)(46).

والمرجع مصدر ميمي واسم مكان أو زمان، بحسب سياق الجملة الوارد فيها، والعرب ((بنوا المصدر على المفعل، كما بنوا المكان عليه، ... وذلك قولك: المرجع، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾(47)، أي مرجعكم))(48).

وقد ذكر الجوهريّ المرجعُ في الآية المتقدّمة أيضًا، وإشارة إلى أن مجيئه على زنة مفعل شاذٌ، لأنّ المصادر من فَعَلَ يَفْعِلُ، إنما تكون بالفتح(49).فالمرجعية والمرجعيات يمتان للقرآن والمعجمت العربية بوشائج متينة في غير لفظهما، بل بالمعاني والمضامين التي تندرج تحت المصطلحات.

والثقافة: هي السمات المميزة لإحدى مراحل التقدم في حضارة من الحضارات، وتلمس فيها رقي العقل والأخلاق والذوق السليم في الأدب والفنون الجميلة، وهي رياضة الملكات البشرية بحيث تصبح أتم نشاطا واستعدادا للإنجاز(50).

وتعرف أيضا بأنها ((الوحدة الكاملة للسلوك المتعلم الذي ينتقل من جيل إلى الذي يليه... أو هي نمط من التقليد أو العرف، حيث تنتقل الرموز من جيل واحد إلى الجيل التالي))(51).

---

44 المصدر نفسه: 27.
45 ينظر: آفاق الأدب المقارن عربيًا وعالميًا: 13.
46 ينظر: العين: 417/8.
47 الأنعام: 60.
48 ينظر: الكتاب: 88/4.
49 ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: 1216/3.
50 ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: 76.
51 ينظر: الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعيّة: 137.

فالمرجعيات الثقافية في حلتها تكون متباينة، فمنها السياسية والدينية والتاريخية والفلسفية وغيرها، لذا فهي في النظرية النقدية هي الخلفيات المعرفية والمنابع الفلسفية التي ينبغي أن تتوفر في الناقد أو الباحث عن طريق دراسة عمل أدبي ابداعي(52).

نلحظ مما تقدم أن الدارسين انطلقوا في صياغة المصطلح من مدلوله الديني المعجمي، للوصول إلى رؤية تفضي إلى وضع الأمور في نصابها الصحيح، حول ذلك المصطلح، لكنهم قنعوا بالخوض في ركني المصطلح (المرجع والثقافة)، كلا على حدة، فكثرت الرؤى والطروحات حول مفهومه وما يندرج فيه.

ويمكن لنا أن نسير مع الرؤية التي تعدُّ المرجعيات الثقافية مجموع الخلفيات والأبعاد المعرفية والفكرية والثقافية التي ينطوي تحتها الخطاب الأدبي، وعادة ما تكشف لنا هذه الخلفيات والأبعاد، عن أيديولوجيا وثقافة أمة من الأمم في العالم، أو مجتمع من المجتمعات، ... تكشف عن عاداتهم، تقاليدهم، لغتهم، تفكيرهم وغير ذلك؛ فحديث المرجعيات هو حديث ربط الأسباب بمسبباتها وإحالتها إلى أصولها، ويمكن للمرجعيات الثقافية أن تكون مصطلحا.

المبحث الأول: المرجعيات الدينية(قرآن/الحديث النبويّ)

تُقسّم المرجعيات الدينية على قرآنية وحديثية والتي تضم حديث النبي –صلى الله عليه وآله وسلم-.

أ. القرآنية: من جماليات التصوير الفني حين يوظف الشاعر حادثة معينة مرتكزًا فيها إلى آيات القرآن الكريم، ومما قاله شاعرنا ابن مساعد، قوله: [الطويل]

1. هم التين والزيتون هم شافعو الورى هم السادة الأطهار والشفع والوتر

فهنا يرتكز شاعرنا لقوله تعالى ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾53 و قوله تعالى ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾54، ومن ثم يذكر بعظمة هؤلاء السادة الأطهار إذا قال هم الشفع والوتر، ويا لها من إلتفاتة جميلة فمن يتمسك بولاية أهل البيت –عليهم السلام- يجزونه الكثير، كما إن الشفع والوتر تجزي عن صلاة الليل لمن تعذرة عليه.

وقوله: [الطويل]

1. بهم سال الله الخليل وناره تؤجج غيظا فانطفى ذلك الجمر

ومن قوله في إفادته من قصة نبي الله إبراهيم -عليه السلام-، وكيف جعل الله سبحانه وتعالى النار بردًا وسلام عليه، فتوظيف الشاعر لقوله تعالى ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾55 وإن إبراهيم –عليه السلام- سأل الله تعالى بحقّ أهل البيت –عليهم ألاف التحية والسلام- حتى أصبحت النار بردً وسلام عليه، ويشبه هذا التوظيف والاستخدام في قصة نبي الله يعقوب –عليه السلام-، ومنها إشارة لقوله تعالى ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾56، إذ قال: [الطويل]

1. ويعقوب لما أن توسل سائلا بهم جمعته مع أحبته مصر

ومن قوله مستثمرًا قصة نبي الله ايوب -عليه السلام-، قوله: [الطويل]

1. وأيوب في بلواه لما بهم دعا شفاه من البلوى وفارقه الضر

إشارة لقوله تعالى ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾57.

ومن نظمه مشيرًا إلى قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾58، وهي مما يدل على تفضيل أهل بيت النبوة –عليهم أفضل الصلاة والسلام- ، إذ قال: [الطويل]

---

52 يُنظر: المرجعيات الثقافية في ديوان بهاء الدين زهير، حمزة فليشي و عبد الحق روبي، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، 2019-2020: 14.

53 سورة التين: 1.

54 سورة الفجر: 3.

55 سورة الأنبياء: 69.

56 سورة يوسف: 99.

57 سورة الأنبياء: 83-84.

58 سورة الإنسان: 1.

1. أفهل سمعت بهل أتى لسواهم مدحا وذلك بين لا ينكر

وكذلك قوله: [الطويل]
1. والرجس أذهبه المهيمن عنهم من فضله فتقدسوا وتطهروا

وهنا إشارة واضحة لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾59، مما يدل على علو منزلة آل البيت-عليهم السلام- وقد وظفه الشاعر توظيف جميل رائع، وقد استخدم لفظ(المهيمن)، وهي مما اختص به نفسه تعالى.
ومن هذه الإشارات والمرجعيات القرآنية الكثير الكثير، فنجده في أحدها يذكر بفضل وعظمة رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم-، وإن أهل البيت –عليهم السلام- يكفيهم فخرًا أنهم من ذريته ونسله، بقوله: [الطويل]
1. وكفاهم فخرًا بان أباهم الـ متبتل المزمل المدثر

فهنا إشارة واضحة لقوله تعالى من سورتي المزمل والمدثر ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾60، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾61.
ب: مرجعية حديثية
لعل ارتكاز شاعر ما إلى حديث النبي الأكرم -صلى الله عليه وآله وسلم- يدلل بصورة واضحة على الثقافة الدينية له وما يحمله من مطالعة وتمعن وتفقه في الدين، ومما رصد بصورة واضحة ويوجد غيره، أن الشاعر قد استقى جملة من معانيه وألفاظه من الحديث النبوي الشريف، ومنها: [الطويل]
1. أمر الخلافة ليس إلّا فيهم فقد ارتدوا بردائها وتأزروا

إشارة إلى أفضلية أهل بيت النبوة وفضلهم في الخلافة التي غصبت منهم –عليهم الصلاة والسلام-، وفي أحاديث كثيرة متواترة في كتب الخاصة والعامّة.
ومن مرجعياته الثقافية منتفعًا بعمق من قول النبي الأكرم –صلى الله عليه وآله وسلم-: (إنّ عليّ بن أبي طالب أفضل خلق الله تعالى غيري، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما، وإن فاطمة سيّدة نساء العالمين وإن عليًّا خطبني ولو وجدت لفاطمة خيرًا من عليّ لم أزوجها منه)62، فقال: [الطويل]
1. أئمة هذا الخلق بعد نبيهم بناة العلى قد طاب من ذكرهم ذكر

وله في الإمام الحسين –عليه السلام-، ومصيبته، وكيف إن السماء الشداد بكته وكيف إن الله تعالى على لسان نبيه الكريم توعد قاتليه بأشد عقوبات التنكيل والتعذيب، وهو يشير إلى قوله –صلى الله عليه وآله وسلم- فيه: (عن أبي عبد الله -عليه السلام- قال: كان الحسين -عليه السلام- مع أمه تحمله، فأخذه رسول الله -صلى الله عليه وآله- فقال: لعن الله قاتليك ولعن الله سالبيك وأهلك الله المتوازرين عليك.. كانت تبكيه السماوات والأرضون والملائكة)63.
فقال شاعرنا: [الطويل]
1. بكته السماوات الشداد فدمعها دم ظل منه وجهها وهو محمر

وقوله أيضًا: [الطويل]
1. فهم النجاة لمن غدا متمسكا بهم وهم نور لمن يتحير

فهنا إشارة واضحة الدلالة إلى جملة من المرويات والأحاديث عن ثواب التمسك بهم، وهم نور لمن يتحير وفيهم النجاة يوم القيامة.

---

59 سورة الأحزاب: 33.
60 سورة المزمل: 1.
61 سورة المدثر: 1.
62 ينظر: المائة منقبة: 19.
63 ينظر: كامل الزيارات: 68.

ومن قوله مرتكزًا في مرجعياته الحديثيّة لقوله –صلى الله عليه وآله- : (يا ابن مسعود، والذي بعثني بالحق [نبيا] إن من يدع الدنيا ويقبل على تجارة الآخرة فأن الله تعالى يتجر له من وراء تجارته ويربح الله تجارته، يقول الله تعالى : ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾)64.

إذ قال: [الطويل]

1. باعوا نفوسهم لأجل تجارة الأخرى فنعم جزاؤهم والمتجر

المبحث الثاني: المرجعيات الأدبية (شعر ونثر)

لا شك إن جماليات التأثير والتأثر ومرتكزات الشاعر وثقافاته الأدبية هي مما لا شك فيه تشير إلى مدى وعي وثقافة ومطالعة شعر هذا عن ذاك، ومن أبرز أشعار شاعرنا ومرجعياته الأدبية.

أ. المرجعيّة الشعريّة

لا أن نتخيل كيف تحولت السرقة إلى تناص وكيف تحول التناص إلى تأثير وتأثر وكيف سيق إلى مرجعيّة ثقافيّة لهذا لا سرقة، إن مثل هكذا تغيرات تحدث في الوعي في المصطلح، وتتبعه والتنقيب عنه وقراءته قراءة حفريّة، ومما قاله ابن مساعد: [الطويل]

1. لطيٍّ قريضي في مديحكُمُ نشرُ ومنشورُ شعري في علاكمْ له نَشرُ

فهو قد وظف ما قاله ابن العرندس في مفتتح قصيدته:

1. طوايا نظامي في الزمانِ لها نشرُ يعطِّرها من طيبِ ذكركُمُ نَشرُ

نلحظ كيف لجأ الشاعران إلى الإفصاح والتوضيح للمتلقي بصورة لا غموض فيها، إذ أن شعرهم وما يخبئه في مديح آل النبي –صلوات الله عليهم- سينشرُ ويذاعُ، ومن هذا التأثير أيضًا قول السيّد ابن المساعد: [الطويل]

1. وظاهرُ شعري فيكمُ المدحُ والثنا وباطنُهُ يا سادتي الحمدُ والشكرُ

إذ لا شك إنه كان ناظرًا إلى بيت ابن العرندس الثاني: [الطويل]

1. قصائدُ ما خابت لهنَّ مقاصدٌ بواطنُها حمدٌ ظواهرُها شكرُ

فنلحظ على ما في التقارب الواضح بين البيتين ان ابن المساعد وزَّع التضاد بداية الشطرين و جعل صورة للظاهر في الشطر الأول وصورة للباطن في الشطر الثاني وهذا ما تستريح له الأذن وتُشدُّ إليه، فضلا من انَّه أوضح المقصد وهو الحمد والثناء لهم من الشطر الأول، ولم يجعلها في الشطر الثاني مثلما فعل ابن العرندس.

ومما قاله ابن العرندس65: [الطويل]

1. مطالِعُها تحكي النجومَ طوالعا فأخلاقُها زَهرٌ وأنوارُها زُهر

وسار السيّد ابن مساعد إلى وصف مطالع شعره بقوله: [الطويل]

1. وطالعه كالشمس زهرٌ ونورُهُ تقاصر عنه في مطالعه البدرُ

فنجد إن السيد الحسينيّ كيف طور وأفاق في المعنى إذ شبهها بالشمس من جهة السطوع والنور، وليس كالشمس قوة، ومن جميل توظيفه للمعاني والمفردات وشده المعاني بعضها برقاب بعض، قوله: [الطويل]

1. يقر لها حسان بالحسن إذ بدت وقال زهير ان أوجهها زهر

فقد جاء بحسان بن ثابت ليشهد بحسن قصائده وجمالها، وهذا الشاهد كبير ومعروف، ثم جاء بزهير بن أبي سلمى ليدلَّ ع نظارتها وتوهجها، ونزعم أنه قد قرأ لابن العرندس قوله: [الطويل]

---

64 ينظر: بحار الأنوار: 74/106.

65 ينظر: الديوان: 65.

1. حِسانٌ لها حسَّان بالفضلِ شاهدٌ على وجهها بشرٌ يدينُ لها بشرُ

وكذلك قوله ذاهبًا إلى الأخذ من قول ابن العرندس حينما يصف حاله في أهل بيت النبوة -صلوات الله عليهم-: [الطويل]

1. فعيناي كالخنساءِ تجري دموعُها وقلبي شديدٌ في محبتكم صخرُ

فقال السيد ابن مساعد: [الطويل]

1. وانّي كالخنساءِ فيكم وقد غدا مفارقها محبوبُ مهجتِها صخرُ

وإن كان ضرب المثال بالخنساء معروف ومتداول، وهو من المعاني العامة المشتركة، إلّا أنا لا نستبعد أبدًا إن نظر بن مساعد قد وقع على هذا البيت أو هذا المعنى لابن العرندس، وقد أخذ منه ووظفه واستفاد منه، وقد رأى الدكتور المصلاويّ إن: (الوضوح وعدم التعقيد والبساطة في المعنى وصياغته، وكأن ابن مساعد يصحح ما يعتقده أفضل وأحسن لمعنى بيت ابن العرندس)66.

ب. المرجعيّة النثريّة.

مما يؤسف له إنا لم نجد من المرجعيات النثريّة في شعر السيّد حسين بن مساعد، ومما وجدناه له إنه قد وظف لفظة النثر بقوله: [الطويل]

1. عرائسه تجلى فتجلى صوادئ القلوب ومن ألفاظها ينثر الدر

وكذلك ينبه بعظم المصيبة وطريقة بكاءه بأن أهل بيت النبوة –صلوات الله عليهم- قد بكاهم الشعر والنثر، بقوله: [الطويل]

1. سأبكيه ما دام الدوام فان أمت بكاه لعمري بعدي الشعر والنثر

المبحث الثالث: المرجعيات التاريخية

((الشعر ديوان العرب))، نصّ خالد يدل بوضوح إن الشعر هو ناقل رئيس للأحداث والوقائع، وهو يؤرخ ويوثق للكثير من المنعطفات التي تمرّ في تاريخ الأمم بوجه عام، والعرب بوجه خاص.

إن توظيف الشاعر للأحدث بصورة واضحة تدل على ثقافته وسعة اطلاعه، وكذلك انتماءه لبعض الأحداث وهذا بلا شك فيه من التفاوت الكثير بين شاعرٍ وأخر، نجد شاعرنا السيّد بن مساعد قد أهتم كثيرًا بحادثة كربلاء على وجه الخصوص وباقي الأحداث المرتبطة بمذهبه وعقيدته وثقافته بشكلٍ عام.

أ. الأحداث المرتبطة بشخص النبي الأكرم –صلى الله عليه وآله-

قوله في الحدث التاريخي العظيم الذي رافق ولادت سيّد الأكوان –صلوات الله عليه وعلى آله الغرر- وهو إن العالم أجمع تشرف بهذه الولادة الميمونة، وكيف إن إيوان كسر قد أنشق بولادته: [الطويل]

1. وبه تشرفت البسيطة واغتدي إيوان كسرى هيبة يتقطر

ونلحظ كذلك توظيفه للإعجاز الذي رافق النبي –صلى الله عليه وآله- حين شرع بتبليغ دعوت الإله للبشريّة، وكيف إن الله أمد عبده بالكثير من المعجزات، ومنها ظلال الغمام والتي تسير معه إذ سار وتقيه حر الشمس67، فوظف هذه المعجزة وقال: [الطويل]

1. مولى تظلله الغمامة سائرا وتقيه من حر الهجير وتستر

ومن المعجزات الأخرى كيف إن الحصى نطقت بيده68، إذ قال: [الطويل]

---

66 القصيدتان الرائيتان لابن العرندس الحلي (840هـ) ولابن مساعد الحائري (كان حيًّا 917 هـ) في رثاء الحسين (عليه السلام) ومدح أهل البيت (عليهم السلام) دراسة تحليلية موازنة في التأثير والتأثر. (مخطوط).

67 ينظر: البداية والنهاية: 345/2، الأنوار في مولد النبي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-:247، وغيرها.

68 ينظر: مشارق أنوار اليقين: 118، الوافي: 503/1، جامع الأسرار ومنبع الأنوار: 454، وغيرها.

1. وبكفه نطق الحصى ولكم غدت منها المياه فضيلة تتفجر

ونلحظ كيف يتنقل بصورة النبي الأكرم –صلى الله عليه وآله- وأوصافه وصولًا بها إلى كربلاء الحسين –عليه السلام- ليتمنى مبرزًا عقيدته الراسخة، لو شاهد النبي أمته كيف فعلت بابن بنت نبيها، فيقول: [الطويل]

1. قد كنت أهوى ان أراك غداة يوم الطف حيا في البرية ينظر

2. لترى الحسين بكربلاء وقد غدا لقتاله الجيش اللهام يسير

ب. الحسين وكربلاء

لاشك إن حادثة كربلاء الحسين –عليه السلام- قد أثارت قرائح الشعراء والموالين للنظم فيه وفي مظلوميته ومصيبته، والتي لم تحدث ولن تحدث على مرّ العصور وتقادم الأزمان، ولم تكن هذه الحادثة لتوظف -مع حيثياتها ومجرياتها- في الشعر فحسب، بل في النثر بفنونه كافة كالمسرح والقصة والرواية وغيرها، وكذا باقي الحقول العلميّة وميادينها كالفقه والعقائد وغيرها.

ومما انتفع منه شاعرنا بوصفه أبي عبد الله الحسين –عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم-كيف أنه غدا يحث أصحابه ويشد أزرهم وعزيمتهم، وكيف يبشرهم بالفوز بالجنان، قوله: [الطويل]

1. وغدا الحسين يقول في أصحابه قوموا لحرب عدوكم واستبشروا

ونراه في وصف أخر جميل، يصف أصحاب أبي عبد الله الحسين –عليه السلام- وشجاعتهم وإقدامهم وعدم إدبارهم، وكيف أنهم باعوا نفوسهم من أجل ذلك الجزاء والربح العظيم الذي بشرهم به -صلوات الله عليه-، فيقول: [الطويل]

1. من كل أشوس باسل لا ينثني من فوق مهر سابق لا يدبر

2. باعوا نفوسهم لأجل تجارة الأخرى فنعم جزاؤهم والمتجر

وكذا قوله في فداء أصحاب أبي عبد الله الحسين –عليه السلام-، وكيف أنهم جادوا بحياتهم أمامه وكيف أنهم استعذبوا مرّ الحتوف وجاهدوا أفضل جهاد وكيف صبروا، وكيف أنهم أفنوا جسومهم بالسيوف وبقى ذكرهم خالدًا على مرّ الزمان، بقوله: [الطويل]

1. جادوا أمام امامهم بنفائس من أنفس طهرت وطاب العنصر

2. واستعذبوا مر الحتوف وجاهدوا حق الجهاد وجالدوا وتصبروا

3. أفنوا جسومهم بكل مهند وبقوا على مر الزمان وعمروا

ت. حوادث أخرى:

ومن جميل قوله في أمر الخلافة، وأنها لآل رسول الله –صلوات الله عليهم-، وإنها محصورة عليكم يأيها السادة الأبرار، قوله: [الطويل]

1. السادة الأبرار أنوار الهدى قوم مآثر فضلهم لا تنكر

2. أمر الخلافة ليس إلّا فيهم فقد ارتدوا بردائها وتأزروا

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

المصادر المخطوطة:

1. نور حدقة البديع ونور حديقة الربيع (مخطوط)، إبراهيم بن عليّ الكفعميّ (ت 905هـ)، مصورات مركز إحياء التراث الإسلامي- قم، بالرقم: 1295.

المصادر المطبوعة:

1. أدب الطف أو شعراء الحسين-عليه السلام-: جواد شبّر، الناشر: دار المرتضى، 1409هـ.
2. أعيان الشيعة: السيّد محسن الأمين(1271هـ)، تحقيق: حسن الأمين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت-لبنان، د.ط، د.ت.
3. آفاق الأدب المقارن عربيًا وعالميًا، د. حسام الخطيب (معاصر)، منشورات دار الفكر المعاصر- بيروت، ط1، 1999م.
4. أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل: الحرّ العامليّ(1104هـ)، تحقيق: السيّد أحمد الحسينيّ، المطبعة: الآداب، النجف الأشرف، الناشر: مكتبة الأندلس، بغداد، د.ط، د.ت.
5. انفتاح النصّ الروائي، سعيد يقطين (معاصر)، منشورات المركز الثقافي العربي – المغرب، ط2، 2001م.
6. بحار الأنوار: العلّامة المجلسيّ(1110هـ)، الناشر: مؤسّسة الوفاء، بيروت-لبنان، 1403هـ-1983م.
7. تاريخ الحركة العلميّة في كربلاء، نور الدين الشاهروديّ()، منشورات دار العلم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط1، 1410هـ.
8. تراجم الرجال: السيّد أحمد الحسينيّ، عناية وإشراف: قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة، المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، كربلاء، ط4، 1439هـ، 2018م.
9. تعليقة أمل الآمل: ميرزا عبد الله أفنديّ(1130هـ)، تدوين وتحقيق: السيّد أحمد الحسينيّ، المطبعة: مطبعة الخيّام، قم-إيران، الناشر: مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ، قم المقدّسة، ط1، 1410هـ.
10. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: العلّامة الشيخ أغا بزرك الطهرانيّ(1389هـ)، مراجعة وتصحيح وتدقيق: السيّد رضا بن جعفر مرتضى العامليّ، الناشر: دار إحياء التراث العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1430هـ-2009م.
11. رياض العلماء وحياض الفضلاء: ميرزا عبد الله أفنديّ(1130هـ)، تدوين وتحقيق: السيّد أحمد الحسينيّ، المطبعة: مطبعة الخيّام، قم-إيران، الناشر: مكتبة المرعشيّ، قم المقدّسة، ط1، 1403هـ.
12. الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعيّة، د. مصلح الصالح (معاصر)، منشورات دار عالم الكتب-، ط1، 1999م.
13. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجواهريّ (ت 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، منشورات دار العلم للملايين- لبنان، ط4، 1990م.
14. طبقات أعلام الشيعة: العلّامة الشيخ أغا بزرك الطهرانيّ(1389هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1430هـ- 2009م.
15. الطليعة من شعراء الشيعة، الشيخ مهدي السماويّ (ت 1370هـ)، تحقيق: كامل سلمان الجبوريّ، منشورات دار المؤرخ العربي-لبنان، ط1، 2001م.
16. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، لابن عنبة (ت 828هـ)، نسخة مكتبة كاشف الغطاء بالرقم: 725.
17. العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت 175هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائيّ، منشورات دار ومكتبة الهلال- القاهرة، د.ط، د.ت.
18. فنخا(نماية مؤلّفان): مصطفى درايتي، (سازمان اسناد وكتابخانة ملي : طهران، 1394هـ.ش).

19. فهرس التراث: محمّد حسين الجلالـيّ(1442هـ)، تحقيق: محمّد جواد الحسينيّ، الناشر: دليل ما، قم-إيران، 1422هـ.
20. قاموس مصطلحات التحليل السيميائيّ للنصوص، رشيد بن مالك (معاصر)،
21. كامل الزيارات، أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه القميّ (368هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، منشورات مؤسّسة النشر الإسلامي- قم، ط1، 141هـ.
22. الكتاب، سيبويه (ت 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، منشورات الخانجيّ- ، ط3، د.ت.
23. لسان العرب، ابن منظور الأفريقيّ (ت 630هـ)، تحقيق مجموعة من الأساتذة، منشورات دار المعارف- القاهرة، د.ط، د.ت.
24. المتخيل الروائي(سلطة المرجع وانفتاح الرؤيا)، محمّد صابر عبيد(معاصر)، منشورات عالم الكتب الحديث- الأردن، د.ط، 2015م.
25. مرجعيات النصّ الروائي، عبد الرحمن التمارة (معاصر)، منشورات دار ورد الأردنيّة- الأردن، ط1، 2013م.
26. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، منشورات مكتبة لبنان- لبنان، د.ط، 1984م.
27. المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، منشورات مكتبة الشروق الدوليّة- القاهرة، ط4، 1425هـ.
28. منية الراغبين، السيّد عبد الرزاق كمونة الحسينيّ(ت 1390هـ)، منشورات مطبعة النعمان- النجف الأشرف، د.ط، 1973م.
29. موسوعة طبقات الفقهاء: اللّجنة العلميّة في مؤسّسة الإمام الصادق-عليه السلام-، الناشر: مؤسّسة الإمام الصادق-عليه السلام-، قم-إيران، 2002م.
30. النصّ الروائي، برنار فاليط(مستشرق معاصر)، ترجمة رشيد بنحدو، منشورات Nathan-paris، د.ط، 1992م.
31. نظرية النصّ الأدبي، د. عبد الملك مرتاض (معاصر)، منشورات دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع- الجزائر، ط2، 2010م.
32. الهداية، الشيخ الصدوق (ت381هـ)، تحقيق ونشر مؤسّسة الإمام الهادي –عليه السلام-، قم، ط3، 1418هـ.
البحوث والدراسات
1. القصيدتان الرائيتان لابن العرندس الحلي (840هـ) ولابن مساعد الحائري (كان حيًّا 917 هـ) في رثاء الحسين (عليه السلام) ومدح أهل البيت (عليهم السلام) دراسة تحليلية موازنة في التأثير والتأثر. (مخطوط).
2. المرجعيات الثقافية في ديوان بهاء الدين زهير، حمزة فليشي و عبد الحق روبي، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، 2019-2020: 14.
3. مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، جليلة طريطر، منشور في مركز النشر الجامعي، 2004م.

المستخلص باللغة الانكليزية

Abstract:

This study aims to examine the cultural references in the poetry of Sayyid Ḥusayn ibn Musāʿid al-Ḥāʾirī (fl. 917–918 AH / 1511–1512 CE), one of the prominent figures of Karbala in the 10th century AH, who combined scholarship, literature, and poetry, and became known for his devotional verse with a strong doctrinal dimension. The historical and political circumstances—particularly the Ottoman–Safavid conflict—provided a fertile environment for the emergence of a literary and doctrinal discourse that sought to consolidate sectarian identity and safeguard collective memory.

The research begins with an introduction to the poet's biography and status, then addresses the concept of cultural reference and its semantic and terminological challenges, before moving to its poetic applications. The cultural references in his poetry are classified into three main categories:

.1 Religious references: Qurʾanic and ḥadīth-based, where the poet employed Qurʾanic verses such as the Verse of Purification (al-Aḥzāb 33) and other verses connected to the Prophet's mission and Ahl al-Bayt (peace be upon them), in addition to invoking Prophetic traditions, thereby reflecting his doctrinal commitment.

.2 Literary references: drawing upon the Arabic poetic and prose heritage, utilizing mechanisms of intertextuality and artistic adaptation to affirm the authenticity of his poetic discourse and its connection to the broader cultural context.

.3 Historical references: most notably the tragedy of Karbala (al-Ṭaff), which formed a central axis of his poetry. The poet used it as a starting point to revive the values of sacrifice and heroism and to reinforce religious identity.

The study concludes that cultural references in Ibn Musāʿid al-Ḥāʾirī's poetry constitute an interwoven fabric combining Qurʾanic, ḥadīth, historical, and literary texts. This makes his poetry a composite cultural text that reflects his awareness of the role of poetry in defending doctrine and preserving sectarian identity, while also embodying the historical and social context of his era.

Keywords: Cultural references; Sayyid Ḥusayn ibn Musāʿid al-Ḥāʾirī; devotional poetry; Qurʾanic reference; ḥadīth reference; historical reference; Karbala; 10th century AH.